سير الزمان

دعوة عامة

واخماد الاضطراب العالمي الحالي المدمر

لتفوق الجزار

الاشتراكية الاوربية

على ذكر فوز الاشتراكيين في فرنسا

دعوة عامة

للعمل المنتج لاجل السلام العام

واخماد الاضطراب العالمي الحالي المدمر

لتشرشل الحراد

لم يعان العالم في ماضيه عُشر ما يعانيه في هذا الردح من الزمان من الاضطراب والقلق والضنك وضيق العيش حتى انهُ ليكاد يخيَّل لك ان اهل الارض كثروا جدًّا الى ان ضاقت بهم ولم يبقَ فيها من الرزق ما يكفيهم . ولكن الباحث الاقتصادي يثبت لك ان خير المعمور من الارض يكفي اضعاف عدد سكانه الحاليين اذا تاب اهله الى رشدهم ، واحسنوا استخراجه وتوزيعه على افرادهم

ولا يمكن ان نجد سبباً لهذا الضنك الاَّ سوء النظام السائد في العالم . واهم مظاهر هذا النظام السيء اجتماع النقيضين في كل وجه من وجوه الحياة الاجتماعية . فهناك الغنى الفاحش والفقر المدقع واتساع دائرة العلم وانتشاره في طبقة من الناس واستفحال الجهل في طبقة اخرى ، وترعرع الديموقراطية والى جنبه سؤدد الديكتاتورية ، والاستعدادات الحربية النشيطة ، ولشاط السعاة الى السلم ، والتساهل الديني من جهة والتعصب القومي من جهة اخرى . وهكذا كيفما تلفت في نواحي الحياة تجد طرفي المتناقضات . ولا يخفى ان هذا التطرف من الجانبين من علل تلك الاضطرابات التي جعلت الحياة البشرية نكداً

وما هو ضنك اقتصادي فقط ، بل يقترن به اضطراب سياسيّ تجاج ايضاً ، زعزع اركان السلم العام حتى كاد يقوّضه الى اساساته . ففي كل يوم نسمع زمجرة الدول كانها تتحفز لتخرج من عراتها الى ساحات الوغى . وفي كل يوم نسمع قرقعة المعامل والمصانع الحربية التي تستنفد معظم القوى العاملة للتسليح . وفي كل يوم نرى الامم تحرّق الأرض بعضها على بعض كأنّ بينها حزازات ثارات واحقاد عداوات ، حتى اذا تلاقى افرادها لا نرى بينهم شيئاً من هذا

اصبح افراد الامم جميعاً وهم في هذين : الخوف الدائم من نضوب موارد الرزق لعدم استقرار

الاحوال الاقتصادية . والثاني القلق الدائم من توقع نشوب الحرب غداً عاجلاً لتأزم المشاكل السياسية وتحرجها

تحرَّجت الحالتان الاقتصادية والاجتماعية تحرُّجاً هائلاً بحيث لم تعد الحياة معهما مرغوباً فيها لانتفاء كل هناء منها . اصبحت الحياة على الارض عبئاً ثقيلاً على الصبور وجحيماً للطامع ومكرهة للآمن — اصبحت شقاء مدلهمًّا لا يتخلله بوارق امل بالفرج

— عجباً ! لماذا ؟ . ماذا حدث من موجبات هذا الشقاء ؟ الارض لا تزال واسعة على ناسها تدر الخير الجزيل . والطبيعة لا تزال سخية بنواها . والعقل البشري نضج نضوجاً يقدره على استدرار خيرات الارض والطبيعة والتمتع بها

فلماذا ضاق العيش هذا ؟

ولماذا تحاقدُ الامم وتخاصُمُها ؟

ولماذا هذا الاضطراب الهائل وتداعي السلم العام ؟

ومهما يكن من اسباب لكل هذه ، فهل تُعدم الوسائل الفعلية لتقرير السلام ولكي يعيش افراد الامم في أمن واطمئنان ولكي يجدوا ابواب الاسترزاق مفتوحة امام نشاطهم

يئس سواد الناس من استقرار الحال وعودة الطمأنينة لانهم خابوا املاً بالنتائج الحسنة التي كانت منتظرة من الحرب العظمى التي حسبوها حرباً لتأييد السلم الابدي وخاتمة للحروب ، ولان المشكلات السياسية ازدادت تعقداً بعدها والازمة الاقتصادية تزداد تأزماً كل يوم ، ولذلك اصبحوا يعتقدون ان العالم الانساني يتدحرج الى الدمار ، وان الامل بالسلام خائب على كل حال ، وان الاصلاح الاجتماعي اصبح مستحيلاً لان الفساد سرى في المجتمع الى أدق عروقه

ولكن المفكر لا يستطيع ان يسلم بان العقل البشري الذي نضج هذا النضوج العظيم وانتج مخترعات القرن العشرين العجيبة يعجز عن معالجة هذا الاضطراب الاجتماعي الهائل معها تحرَّج ومهما تعاقدت اسبابه . فمن الخطل التسليم بهذا الاعتقاد . ومن السخف الاستسلام لهذا الاضطراب

ليست الفوضى سنةً في الكون

لكل عالم نظام ، وقانون تنظيم ، وقوة منظمة

فاذا ظهر فيه اي اختلال او اضطراب فلا بدَّ ان يكون قد طرأت عليه قوة جديدة قلقلت نظامه ، او ان يكون قد اصطدم بعالم آخر فتقلقل نظامهما جميعاً استعداداً لاتحادهما بنظام واحد يجمعهما

فاذا بحثنا في مجرى تقاقل نظام العالم الانساني واهتدينا الى اسبابه فلا بدَّ ان نجد الوسائل العملية لردّه الى استقراره الطبيعي . وحينئذٍ يسهل علينا ان نهتدي الى العوامل الفعالة لاتخاذ تلك الوسائل

اول ما يلوح لنا كسبب اساسي لهذا الاضطراب هو ان الحجب الجغرافية التي كانت تفصل الامم بعضها عن بعض قد سقطت بسبب انتشار وسائل المواصلات العجيبة . فاصبحت الامم متصلة بعضها ببعض تعامل بعضها بعضاً اقتصادياً كأنها امة واحدة . ولكن الحجب الاجتماعية — اللغات والاديان والعادات والتقاليد والاخلاق والثقافات — لا تزال قائمة بينها تفصلها بعضها عن بعض . فهي متجاذبة بحكم الاتصال الاقتصادي ، ومتصادمة بحكم التباين الاجتماعي في هذه الامور المذكورة . هنا جرثومة ذلك الاضطراب الذي يجب قتلها

لا يخفى عليك ان الحجب الجغرافية التي كانت تفصل الامم بعضها عن بعض كانت السبب في هذه التباينات الاجتماعية التي اشرنا اليها . وكان من مقتضيات هذه الفروق تفاوت الامم بالحضارة والتمدن في درجات متباعدة أعلاها عالٍ جداً وأحطها سافل جداً ، ومعظمها تتدرج بين العالي والسافل

فلما تهدَّمت تلك الحُجُب سهل طغيان العالية منها على السافلة واستغراقها استعباداً واستعماراً واستثماراً . وكان هذا الطغيان تقوية للرأسمالية وتنشيطاً لاستفحالها الى ان استتبَّ لها القبض على ازمة السياسات المسيطرة والادارات المنظمة . ومن هنا نشأ جزع ذلك الاضطراب الذي نحن بصدده وتفرَّعت منهُ فروع القلاقل المختلفة التي لا محل لتفصيلها هنا

وهو معلوم جيداً ان الجنس الانساني ارتقى عقلاً ارتقاء عظيماً واحتل اعتلاء شاهقاً عن ارقى انواع الاحياء الاخرى . ولكن ضميره من ناحية الادب النفسي لم يرتفع ارتفاعاً مناسباً لذاك الارتقاء العقلي بل ان الادبية الاجتماعية لم ترتفع كثيراً عن البهيمية الحيوانية ، بل هي من وجهة الطمع احط من النفس البهيمية — جشع هائل ونهم قاوض كنهم الجراد . ولذلك كان دائماً كل طغيان من قبيل الامم الراقية على الامم المنحطة قديماً وحديثاً افتراساً ونهشاً والتهاماً وتنكيلاً في كل حال . وكان أرقه استعباداً للامم المتمدنة بعض التمدن

فذلك الادب النفسي المسيطر على ذلك الطغيان الاستعبادي الاستعماري الاستثماري جاء بعد تهدُّم الحجب الفاصلة بين الامم عاملاً مباشراً للاضطراب العالمي العام . ولم يقتصر تأثيره الرديء على غزو الامم القوية للضعيفة بل تعادى الى تطاحن الامم القوية تنازعاً لهذه الامم المغزوَّة

هنا ملتقى امواج الاضطراب المتفاقة التي يتخبط فيها الآن جميع الناس امماً وافراداً على اختلاف طبقاتهم وهم يهلكون فيها غرقاً ويدفنون جهاداً ويضنكون عياء

ترى مما تقدم ان سلسلة اسباب هذا الاضطراب العالمي الرهيب المهدد الآن بالدمار تشتمل على ثلاثة حلقات رئيسية : —

١ — تهدُّم الحُجُب التي كانت فاصلة بين الامم ، واتصال الامم بعضها ببعض . ولكن

هذه الحلقة السيئة ليست رديئة بل هي حلقة جيدة متى احسن استعمالها — يكون ذلك الاتصال الاممي بركة للامم اذا تدفقت الحضارات والثقافات من الامم الراقية الى الامم المنحطة الى ان تصبح الامم في مستوى واحد

٢ — طغيان الامم الراقية على الامم المنحطة لاستعبادها واستعمارها . وشدة هذا الطغيان في القرن الاخير الى الآن . وهذا الطغيان يمكن ان يتحول الى خير اذا تولته هيئة امية عامة مسيطرة سيطرة فعلية، وجعلت مآل استعمار البلاد المنحطة لمنفعة الامم الراقية والامم المنحطة على السواء ولتعميم التحسين في جميع الممالك في مستوى واحد

٣ — تأخر الادب النفسي في الارتقاء عن النضوج العقلي إلى ان أصبح بينهما مدى بعيد ولاسيما في الأدب الاجتماعي، وإنهاضهُ لايحتاج الى جهاد عظيم لان قانونهُ معروف جيداً ولاستقصى البحث فيهِ وتقريره . وانما الحاجة فيهِ إلى ترويض النفوس البشرية والعقول الاجتماعية وتمرينها على سجية الادب النفسي لكي يصبح سجية مطبوعة فيها، ولا سيما لان في المجتمع البشري الآن طبقة من الافراد قد ملكت هذه السجية وهي الطبقة المثقفة ثقافة عالية . فهي تغذي الطبقات الأخرى وتلقحها بها

هذه هي الاسباب الرئيسية للاضطراب العالمي الرهيب المؤلم الملقي على صدور الناس جرثومة الخوف وعلى نفوسهم ظلماء اليأس وفي قلوبهم كره الحياة لشدة مرارتها . أخال ان القارىء الكريم يستعظم هذه الاسباب ويتهيب التفكير في وسائل ازالتها ويرتد عنها قانطاً خائب الأمل باصلاح حال المجتمع

اجل ان النظرة السطحية في هذه الاسباب لاول وهلة تؤلم بل تخيف لتوقع اشتداد الاضطراب وتحرج الازمات . ولكن ايعجز العقل البشري الذي صنع معجزات القرن العشرين عن اختراع الوسائل لمعالجة هذا الاضطراب وتنظيم المجتمع وتوجيهه الى المجرى السهل الذي يؤمن فيهِ اضطرابهُ ويضمن فيهِ اطمئنان افراده ويقوي املهم بالرخاء الذي تناهم به الم الحديث بما وفره لهم من اسباب الراحة واستدرار الخير بلا عناء ؟

لا اعتقد ان اختراع هذا النظام اغرب من اختراع الراديو والسما والطيران بل هو اسهل جداً لان طبيعة الاجتماع مكشوفة واستخراج قوانينه سهلة ، والمعروف منها كثير بل تكاد تكون كلها معروفة . ولا حاجة بنا الآن الا الى تطبيق هذه القوانين

فلنرَ كيف يمكننا تقويم تلك العوامل التي سببت ذلك الاضطراب الهائل وتوجيهها الى الاصلاح الاجتماعي

١ — ان اتصال الامم المباشر وتعاملها العاجل بواسطة وسائل المواصلات الجوية بعد تهدم

الحجب التي كانت فاصلة بينها سهل تدفق الحضارات والثقافات من الامم الراقية الى الامم التي هي دونها بالرقي كما سهل طغيان القوى الاستعمارية . ولذلك يمكن الانتفاع بهذا الاتصال في نشر اي تفكير صالح لتقرير السلام العام بكل سهولة . فلنفرض ان هيئة انسانية متحفلة صالحة الضمير وضعت برنامجاً بث قواعد لتقرير السلام فيمكن نشر هذا البرنامج بسرعة واسموه سواد الامم به وتشبع نفوسهم بالآمال بخيره . بواسطة ذلك الاتصال السهل السريع يمكن طبع فكرة واحدة او نظرية واحدة عامة في الاني مليون نسمة سكان الكرة الارضية في عام واحد او في بضعة اعوام او في جيل على الاكثر . ومتى تشبعت النفوس بفكرة واحدة لتقرير السلام العالمي اتجهت الميول الطبيعية اليها من تلقاء انفسها لانها تجدد الامل بالطمأنينة بعد هذا اليأس الرهيب . فالناس جميعاً في وجل يتوقعون بارقة أمل . فاذا لمعت لوامع الرجاء اتجهت الانظار اليها وأسرعت الخطى نحوها . الناس من تلقاء انفسهم يوجهون مساعيهم في خطة البرنامج الذي يمنيهم بالسلام ويتدفق الرزق عليهم والرفاه والرخاء لهم

٢ — بينما تكون قوى الجشع والطمع طاغية ومتدفقة تكون عوامل توحيد التفكير وتقرير الاتجاه الى ناحية لوامع الاصلاح الاجتماعي متدفقة ايضاً . حتى اذا انطبعت نفوس سواد الامم بهذا الطابع تيسر التنظيم الجديد الذي يصد ذلك الجشع ويقر النظام على قاعدة راسخة مطمئنة

فالمهمة الفعالة في هذا العمل الاجتماعي هي اختراع الوسائل والوسيلة الناجعة لبث التفكير السلمي السديد الواحد في جميع افراد الامم ، ولنشر برنامج التقرير الفعلي للسلم العام على قاعدة راسخة

فما هي هذه الوسيلة ؟ ومن يتصدى للقيام بها اولاً ؟

٣ — اشرنا في الحلقة الثالثة من حلقات اسباب الاضطراب الى ان طبقة المثقفين ثقافة عالية تملك من سجية الادب النفسي القويم اكثر من سائر الطبقات . وهذه الطبقة منتشرة في جميع الامم حتى انك لتجد منها افراداً في احط الامم ، وربما كان هؤلاء الافراد على قلتهم اقوى تأثيراً في قومهم من غيرهم من زملائهم . وطبقة المثقفين هذه تكاد تكون مطبوعة طابعاً واحداً في المعرفة والتفكير بسبب انتشار العلم الحديث من مركز واحد الى جميع انحاء العالم . فمن اسهل الامور تفاهم افرادها مهما تباعدت ديارهم وتباينت امم . ومن السهل ايضاً تجاذبهم حول مركز نظرية واحدة سديدة او فكرة واحدة صالحة . ولهم من الادب النفسي حافز قوي كافي ليدفعهم لترويج الفكرة وبثها بين الجماهير من عوام امهم وتهيئة الافكار للنظام السلمي الجديد . ومقامهم المؤثر يكسب الفكرة قيمة وترويجها بين الجمهور نفوذاً عظيماً ورسوخاً في اذهانهم متيناً

اذن ، الرجاء باستقرار السلام العالمي وبسط الرخاء على جميع طبقات الامم اصبح منوطاً بهيئة المثقفين من كل امة . فاذا قام جماعة منهم في اي بلد — في مصر مثلاً — وكونوا هيئة مستديمة

وصاغوا صيغة دعوة عامة للسلام وكلفوا بشأنها معارفهم ومن يعرفون من مفكريهم الثقافي في الامم الاخرى . ودعوهم للاشتراك معهم بث برنامج لدعاية السلم العام فاعتقد انهم يلبونهم . وحينئذ تشهد السبيل لعقد مؤتمر عام من ممثلين من جميع الامم او من معظمها لتقرير البرنامج حتى قاصدة تحقيقه غير صعبة التطبيق

هل تتحبذ فئة من كبار مثقفينا لتلبية هذه الدعوة الشريفة ، بغض النظر عن مكانة الداعي الوضيعة ؟

احبذا ان يتفضل بعض الاخوان الادباء للاشتراك مع هذا العاجز في تحبيذ كبار مثقفينا لتلبية الدعوة لعل تعدد الاصوات يكون اوقع في آذانهم واقوى تنبيهاً لهم

واخال القارىء يقول ان هذه الدعوة عقيمة لان المشروع حلم بنظرية مستحيلة التحقيق او تكاد تكون مستحيلة . فأمامها عقبات لا ترتقي كتافر الامم وتباينها في الاخلاق والعقائد والتقاليد والمشارب بحيث يتعذر بث فكرة واحدة وطبع عقيدة واحدة في افرادها . وامامها مقاومات لا تغلب كما كانت الرأسمالين ودسائس مطامع السياسيين . ولا يمكن الايمان بامكان تحقيقها ما لم يشرح البرنامج المبتغى لها . فما هو برنامجها

فأقول ان كل حقيقة نشأت اولاً نظرية . ثم تحققت . فالاسلكي كان نظرية فرادي فحققها السير اوليفر لودج ومارکوني . والطيران كان نظرية اهل بساط الريح فحققه الكونت زبلن والاخوان ريط . والجمهورية كانت نظرية افلاطون فحققها الاميركان . ثم الفرنسيس . وهذه النظرية يمكن تحقيقها عن يد مثقفي مصر . ولماذا لا ؟

واما العقبات والمقاومات فيمكن تذليلها بسهولة . وسأعود له في مقال آخر . ومع ان وضع البرنامج من اختصاص مؤتمر عام من المثقفين سأحاول وضع نواة برنامج عام عسى ان يتضح فيه امكان تحقيق هذه النظرية فتقدم على الدعوة اليها فئة جديرة بها

حاشية — ثبت مثل هذه الدعوة الآن سيدة اميركية تدعى انيس بايلي بنشرات ترسلها الى من تتصل بعنوانهم من الطبقة الوسطى من جميع الامم . ولكنها لا تنيط هذه المهمة بفئة خاصة بل هي تتولاها وتدعو اليها دعوة عامة . ولا ريب انها تفعل فعلاً جيداً وتمهد السبيل لتألب الامم الى تقرير السلام . ولكن بعد التفكير في المشروع رأيت ان الدعوة العامة من فرد واحد لجميع افراد الامم على الاطلاق ضعيفة النجاح او بطيئته . ولذلك ارتأيت ان تقوم بهذه الدعوة فئة المثقفين وان يضع برنامجها مؤتمر منهم وان يتولوا هم اذاعتها كل في بلاده

اتمنى ان يدري كل محب للسلام من المفكرين للبحث في هذا الموضوع الثمين وبث الآراء في هذا المشروع الجليل

الاشتراكية الاوربية

نشوء الحركة وتحولها في بلدان اوربا

على ذكر فوز الاشتراكيين في فرنسا

يرتد تاريخ الاشتراكية الاوربية من حيث هي حركة منتظمة لا مجموعة آراء مطوية في بطون الكتب والرسائل الى منتصف القرن الماضي أي الى سنة ١٨٤٨ . اجل قد سبق ذلك نشر آراء لطائفة من كبار المفكرين الاشتراكيين امثال سانت سيمون وفوريه في فرنسا وروبرت أوين في انكلترا وكان للآراء الاشتراكية شأن في تنظيم بعض الحركات الاجتماعية الاقتصادية كحركة نقابات العمال المنسوبة الى أوين في انكلترا . ولكن في تلك السنة أي في سنة ١٨٤٨ عند ما أذاع كارل ماركس « البيان الشيوعي » خرجت الدعوة الاشتراكية الى العالم في فلسفة محدودة المعالم وبرنامج مفصل للعمل

وكانت الثورات التي قامت في أوربا سنة ١٨٤٨ والسنوات التي تلتها تحتوي على عناصر اشتراكية . ففي المانيا وفرنسا حاول الاشتراكيون ان ينتزعوا مقاليد الزعامة من الثوار الذين كانوا ينتمون في الغالب الى الطبقات المتوسطة . ولكن هذه المساعي أخفقت . لأن الصناعة لم تكن قد بلغت من الارتقاء في أوربا — الا انكلترا — مبلغاً يجعل عمالها قوة كافية لان تكون اساساً لحركة اشتراكية قوية منظمة . فلما خبتت ثورات الاحرار في منتصف القرن الماضي اضمحلت الاشتراكية وظن ان نجمها خبا . ولكن زعماءها لم يلبثوا ان عادوا الى العمل بهمة شديدة وكانت لندن حينئذ قد أصبحت مثابة للمنفيين من اقطاب الاشتراكيين وفي مقدمتهم كارل ماركس

فلما كانت سنة ١٨٦٤ انشئت « جماعة العمال الدولية » وهذه الجماعة تعرف الآن في تاريخ اوربا الحديث باسم « الدولي الاول » تميزاً لها عن الدولي الثاني (وسيأتي ذكره) والدولي الثالث الذي يمثل الشيوعية السوفيتية في روسيا . فاشراف « الدولي الاول » أخذ زعماء الاشتراكيين يسعون لانشاء جماعات اشتراكية منظمة في بلدان قارة اوربا الكبيرة ولا سيما فرنسا والمانيا . والى هذا العهد ترتد اصول الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا وهو الذي كان لهُ شأن

كبير في حكم النمسا بعد اعتزال الامبراطور الى ان قضى اخر هتلر بعد تسلمه مقاليد الحكم باسم الوطنية الاشتراكية

وكان على الحركة الاشتراكية في فرنسا ان تقاوم تيارين مختلفين من التفكير واحدهما يدعى الاشتراكية بسبب . أدهما تيار فريق من اتباع برودون كانوا فوضويين او اشبه شيء بهم ويؤمنون بحل مشكلات الاجتماع بأساليب تختلف عن اساليب الاشتراكيين وثانيهما تيار فريق من اتباع بلانكي وهم أقرب من الفريق الاول الى رأي ماركس ولكنهم أميل الى الثورة تقوم بها اقلية حتى ولو لم تؤيدها في ذلك جماعة العمال الكبيرة

اما في ايطاليا فلم يكن للنزعة الاشتراكية شأن كبير لان اتباع مازيني قاوموها من جهة ولان جماعة أخرى متأثرة بنظريات باكونين الروسي الفوضوية قاومتها من ناحية أخرى

وكذلك في روسيا لان زعماء الحركة الاشتراكية فيها حاولوا ان يستندوا الى الفلاحين لعدم ارتقاء الصناعة في روسيا وهؤلاء وجدوا النزعة الفوضوية اقرب الى نفوسهم من اشتراكية ماركس وصحبه

وبلغ « الدولي الاول » ذروة مقامه في اوربا عند ما انشئت حكومة « الكومبون » الاشتراكية في فرنسا على اثر انخذال نابوليون الثالث في الحرب الروسية الفرنسية سنة ١٨٧٠–١٨٧١

فالحكومة الاشتراكية الجديدة في فرنسا بزعامة المسيو بلوم ليست الحكومة الاشتراكية الاولى التي تؤلف فيها — بحصر المعنى — لان حكومة « الكومبون » التي ألفت في مطلع العقد الثامن من القرن الماضي سبقتها الا ان حكومة « الكومبون » كانت قصيرة العمر لان العناصر التي تألفت منها كانت متنافرة فلما ثارت على الجمعية العمومية وأعلنت أن باريس مدينة حرة وذات سيادة وان الدولة الفرنسية يجب ان تتألف من « كومبونات » مستقلة استقلالاً ذاتيًّا تمادت فرنسلم وجهت الى تأييد المسيو تيرس فكانت ثورة او حرب اهلية دامت نحو شهرين من اول ابريل الى ٢٨ مايو سنة ١٨٧١ سقطت على اثرها حكومة « الكومبون » الباريسية فمهد ذلك لتسهيل الى انشاء الجمهورية الفرنسية الثالثة وقضى بأن تبقى هذه الجمهورية متصفة مدة طويلة بصفات حكومة بورجوازية (أي مستمدة من الطبقات الوسطى) . وقد احتفظت حكومة فرنسا من ذلك العهد الى عهدنا هذا بهذه المميزات بل أن الحكومة الاشتراكية الجديدة ليست اشتراكية بأوسع معاني الكلمة لأن الحزب الاشتراكي ليس اكبر من مجموع سائر الاحزاب في مجلس النواب الفرنسي والحكومة مؤلفة منهُ ومن حزب الاشتراكيين الراديكاليين وهذا الاخير ليس اشتراكيًّا ولا راديكاليًّا وانما هو من احزاب الطبقات الوسطى ويتسم فقط بسمة الاحرار

وكذلك كان سقوط حكومة فرنسا الاشتراكية الاولى هادماً لامالي الزعماء الاشتراكيين

بقرب اليوم الذي يقبض فيه الاشتراكيون على مقاليد الحكم في بلدان اوربا

بعد انهيار حكومة « الكومون » في فرنسا سنة ١٨٧١ وحبوط تجربة الحكم الاشتراكي اصبح تاريخ الاشتراكية في اوربا تاريخ الحركات القومية في مختلف بلدانها

ففي المانيا حيث رسخت نظريات ماركس في نفوس فريق كبير من الالمان قوم البرنس بسمارك الحركة الاشتراكية مقاومة عنيفة من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٩٠ وقيدها بالقوانين الشديدة فخطر الاشتراكيون الالمان ان يقوموا بدعايتهم في المانيا من خارجها ومع ذلك نشطت الحركة في المانيا واتسع نطاقها . فلما كانت سنة ١٨٩١ تمكن الحزب الدمقراطي الاشتراكي من الظهور في حلبة السياسة القومية ومن تلك السنة اخذ الدمقراطيون الاشتراكيون الالمان في زيادة المقاعد التي يشغلونها في الريخستاج وصحب هذه الزيادة تحول في آراء الحزب فبعد ان كانت « ماركسية » ثورية في نزعتها عدلت تعديلاً مطرداً . وكان على رأس الجماعة المطالبة بتنقيح مبادىء الحزب رجل يدعى ادوار برنشتين الا ان برنشتين وصحبه خذلوا في مؤتمر الحزب الذي عقد في سنة ١٩٠٣ ولكن رأيهم كان قد كسب له انصاراً كثراً فاصبحت خطة الحزب الدمقراطي الاشتراكي اميل الى الاعتدال وطلب التغير والاصلاح عن طريق التشريع على الرغم من احتفاظه بعبارات ماركس واتباعه

اما في انكلترا فكان الاتجاه في العقدين السابع والثامن من القرن الماضي الى انشاء نقابات للعمال فلما كانت الازمة الاقتصادية في العقد الثامن ضعفت هذه الحركة وبدلاً من ان ينشأ حزب للعمال كما كان منتظراً اخذ العمال بعد وقوع الازمة يستندون الى الاحرار في المطالبة بحقوقهم وكان ممثلو العمال الذين يفوزون في الانتخاب لمجلس النواب يجلسون مع نواب الاحرار فيه . ثم حاول بعضهم ان ينشىء حزباً اشتراكيًّا ماركسي النزعة . فلم يفز من عمال انكلترا بتأييد يذكر فظلت الحركة الاشتراكية ضعيفة الى مطلع القرن العشرين عند ما انشئت « لجنة تمثيل العمال » وهي اللجنة التي غير اسمها بعد ثم وجعل « حزب العمال » وكان زعيم هذه الحركة كير هاردي . وهي تختلف عن الحركات الاشتراكية على بر اوربا — الا البلجيك — في انها ما كانت تعتمد على افراد اشتراكي النزعة بل على حركة العمال المنظمين في نقاباتهم المختلفة . ولذلك كان لنقابات العمال سيطرة او شبه سيطرة على خطة الحزب ومنهاجه . وهذا الحزب ليس اشتراكيًّا بالمعنى المحصور مع تسليمه باهم مبادىء الاشتراكيين فهو يرمي الى الاصلاح الاجتماعي عن طريق البرلمان لا عن طريق العنف والثورة

وكانت الحالة في روسيا تختلف عنها في المانيا وانكلترا لان الاشتراكيين الروس ظلوا معرضين للاضطهاد الشديد والنفي والتشريد وكان معظم اقطابهم منفيًّا في سيبريا او لاجئاً الى بلدان

اوربة المختلفة فلما حبطت ثورة ١٩٠٥ في روسيا زاد اضطهادهم فاضطر الزعماء أن يتوسعوا بنشر دعايتهم في روسيا من البلدان التي لجأوا اليها . وكانوا علاوة على ذلك شيعاً مختلفة فكان منهم حزب الثورة الاجتماعية وجل استناده الى الفلاحين وأكبر اغراضه اصلاح حال الفلاحين بالثورة . وكان هذا الحزب اقرب الى الفوضوية منهُ الى الاشتراكية وكان يتأثر باكونين لا كارل ماركس . وكان هناك حزب آخر يعتمد على ماركس وقد انشق هذا الحزب سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ الى شيعتين شيعة البولشفيك وهي التي تحولت بعد ثورة سنة ١٩١٧ في روسيا الى ما يعرف الآن بالحزب الشيوعي وشيعة المنشفيك وكانت تدعي انها من اتباع ماركس ولكنها كانت تقول ان الاشتراكية التامة في روسيا تقتضي اولاً انشاء حكومة بورجوازية دمقراطية بالتعاون مع الطبقات المتوسطة اي انها كانت تخالف البولشفيك في نقل روسيا نقلاً مفاجئاً من حالتها التي كانت عليها الى حالة الاشتراكية التامة

قلنا ان « ان الدولي الاول » تألف سنة ١٨٦٤ وسقط بعيد هبوط تجربة الحكم الاشتراكي في باريس على أثر الحرب البروسية الفرنسوية (١٨٧١) ولكن الجماعات الاشتراكية أعادت الكرة سنة ١٨٨٩ فانشأت « دوليًّا » آخر دعي الدولي الثاني او الدولي الاشتراكي ولكنهُ كان يختلف عن سابقه في انهُ لم يكن له لجنة مركزية قوية تسيطر على خطته . وكانت اجتماعاته الاولى تقتصر في الغالب على البحث في افضل الاساليب التي تجري عليها الاحزاب الاشتراكية المختلفة . ولكن في سنة ١٩١١ أخذ « الدولي الثاني » يهتم بموضوع السلام والحرب وموقف الاشتراكيين منها . نعم كان هذا الموضوع قد شغل افكار الاشتراكيين في مؤتمر استردام سنة ١٩٠٣ مما حمل جوريس الاشتراكي الفرنسوي على تأليف كتابه « الجيش الجديد » ثم عولج الموضوع ثانية في مؤتمر ستتغارت فندد هرفيه بالنزعة الوطنية تنديداً شديداً مما حمل بيبل وفولمار الالمانيين على التصريح بأن الدمقراطيين الاشتراكيين في المانيا يهبون الى الدفاع عنها اذا هوجمت

ولما تلبد جو اوربا بسحب الحرب سنة ١٩١١ على اثر حادثة أغادير وحروب البلقان وحرب ايطاليا في طرابلس الغرب اجتمع الاشتراكيون في بال سنة ١٩١٢ للبحث في الحالة الدولية وتقرير خطة الاشتراكيين الدمقراطيين لمنع الحرب . وأذيع يومئذ ان يدعو عمال الامم المختلفة الى الضغط على حكوماتهم في سبيل تقرير سياسة خارجية قاعدتها السلام والوئام

وكان موضوع السلام على اجندة المؤتمر الذي دعي للانعقاد في اغسطس ١٩١٤ في مدينة فينا ولكن نشوب الحرب حال دون اجتماعه وبنشوب الحرب وقيام الثورة الروسية سنة ١٩١٧ تغير اتجاه الاشتراكية الاوربية

لما نشبت الحرب العالمية تمزق شمل الاشتراكيين وانهار الدولي الثاني . وقد قلنا أن

الاشتراكيين كانوا يسعون بواسطة الدولي الثاني الى بذل كل ما في وسعهم من مكانة ونفوذ لمنع الحرب التي ظهرت بوادرها في آفاق السياسة العالمية . ولكن لما اشتبكت الدول الاوربية بعضها ببعض في صيف ١٩١٤ انحازت اكثرية الاحزاب الاشتراكية إلى تأييد حكوماتها القومية على الرغم من مظاهرات اشتراكية ضد الحرب هنا وهناك وعلى الرغم من اعتراض طوائف قليلة من الاشتراكيين انفسهم . ويذكر القراء ان المسيو جوريس زعيم الاشتراكية الفرنسية وسلف المسيو بلوم في زعامة الاشتراكية الفرنسية اعترض على الحرب في فرنسا فلقي حتفه وان المستر مكدونلد اعترض كذلك على الحرب في انكلترا فنبذ ولما حاول ان يسافر ياخرة انكليزية الى مؤتمر اشتراكي رفض بحارة السفينة ان يقوموا بعملهم اذا كان المستر مكدونلد على متنها . بل ان طائفة من ممثلي الاحزاب الاشتراكية في فرنسا وبريطانيا اشتركوا في الوزارات المشرفة على تسيير القوى الى النصر . ولو اتيح مثل هذا الاشتراك لاشتراكي المانيا لما رفضوه . وظل الاشتراكيون موالين لحكوماتهم المختلفة الى سنة ١٩١٨

ولكن طوائف قليلة من احزاب اوربا الاشتراكية سعت بعيد نشوب الحرب الى الاجتماع لوضع خطة عامة يجري عليها الاشتراكيون في اوربا بصفة كونهم جماعة اوروبية لا جماعات قومية متفرقة فعقد المؤتمر الاشتراكي الدولي الاول في سبتمبر من سنة ١٩١٥ في زمر فولد وعقد الثاني في ابريل سنة ١٩١٦ في كينتال وحضرهما اشتراكيون من الوان مختلفة فمنهم من جاءها مدفوعاً بنزعة سلمية قوية ظنّا انهما قد يكونان السبيل الى وقف الحرب ومنهم من جاءها اعتقاداً منه انهما فرصة نادرة للاستفادة من نشوب الحرب لتعميم الاشتراكية وفي مقدمة هؤلاء الشيوعيون وعلى رأسهم نقولاي لنين

ثم وقعت الثورة الروسية . فالحركة الاشتراكية الروسية كانت ثورية لما مُنيت به من الاضطهاد والتشريد ولكن اقطابها واتباعها كانوا مع ذلك فريقين فريقاً يدعى الحزب الثوري الاشتراكي وكان جل همه منصرفاً الى الفلاحين ويزع الى اساليب الثورة وفريقاً يدعى الحزب الديمقراطي الاشتراكي وكان قد اسس على قواعد البيان الشيوعي الذي وضعه كارل ماركس في اواسط القرن التاسع عشر ثم انقسم فريقين احدهما معتدل يسلم بالتعاون مع الطبقات الوسطى ويدعى المنشفيك وفريق ثوري يريد الثورة ودكتاتورية العمال ويدعى البولشفيك

فلما قامت الثورة الروسية الاولى سنة ١٩١٧ على اكتاف المنشفيك واحرار الطبقات الوسطى وبمساعد انصارهم فازت بتأييد عام من اشتراكي العالم وقد كان رئيس الحكومة التي انشئت بعد هذه الثورة كرنسكي . ولكن لما نشبت الثورة الروسية الثانية بزعامة البولشفيك وقيادة لنين ، واعلنت دكتاتورية العمال ، انشق اشتراكيو اوربا حيالها الى فريقين ، وزادت

الهوة بين الفريقين عند ما استتب الامر للبولشفيك وعلموا انهم هم الحزب الشيوعي. وانعقد المؤتمر الشيوعي المعروف « بالدولي الثالث » وشرعوا يدعون الدعاية الى الثورة العالمية على اساس قواعد ادعوا انهم انتزعوها من مؤلفات كارل ماركس وبيانه الشيوعي الذي اذيع سنة ١٨٤٨ وجعلوا ينددون بالمعتدلين من الاشتراكيين اي بالاشتراكيين الدستوريين ومن كان على غرارهم في جميع البلدان واتهموهم بانكارهم ماركس وتعاونهم مع البورجوازي في سبيل تأييد النظام الرأسمالي . فرد عليهم هؤلاء بأن الشيوعيين طغاة وانهم حطموا الحرية والديمقراطية في روسيا وبسطوا سيطرتهم على الجماهير بالقوة والعنف

وعلى الرغم من قيام حكومة شيوعية في روسيا وحزب شيوعي قوي في المانيا حافظ الاشتراكيون الديمقراطيون الالمان على خطتهم . اما في فرنسا فانحاز جانب من الاشتراكيين الى الشيوعية ، فأعيد تنظيم الحزب الاشتراكي واطردت زيادة ممثليه في مجلس النواب الى ان اصبح اكبر حزب فيه في الانتخابات الاخيرة . وكان الاختلاف الشديد بين اشتراكيي ايطاليا وانقسامهم الى شيوعيين ونصف شيوعيين ومقاومين للشيوعية ، ممهداً لقيام النظام الفاشستي فيها . اما في انكلترا فلم تتأثر الحركة الاشتراكية كثيراً بانقسام الاشتراكية الاوربية حيال النظام الروسي الجديد

***

يشترك الشيوعيون والاشتراكيون في القواعد التي يؤمنون بها والاغراض التي يسعون اليها ولكنهم يختلفون في السبل المؤدية الى تحقيق هذه المبادىء والاغراض . فكلا الفريقين يدعو الى جعل وسائل الانتاج الحيوية والصناعات الكبيرة ملكاً للامة او للدولة وهذا يفسر لنا اشارة السير بلوم في بيانه الوزاري الى جعل مصانع السلاح ملكاً للامة . ولكن الشيوعيين يريدون ذلك بالثورة : واما الاشتراكيون فيسعون اليه عن طريق التشريع . ثم انهما يتفقان الى جعل الدولة القوة الفعالة في تنظيم القوى الاقتصادية حتى لا تتعارض وتتنافر ينجم عنه الكسب الخاص . فمجالس النواب والشيوخ اي مجالس التشريع التي يبغي الاشتراكيون السيطرة عليها عن طريق الانتخاب والفوز بأكثرية فيها ، يندد بها الشيوعيون لانها منشآت رأسمالية لا بدّ من هدمها قبل ان تستطيع الاشتراكية القيام بتحقيق ما تقصده من اصلاح . ولذلك ينظر الشيوعيون الى الاشتراكيين الذين يبغون الاصلاح دستوريًّا متدرجاً على انهم اعدى اعداء العمال

هذه هي نقطة الاتفاق والاختلاف الاساسية بين الشيوعيين الاشتراكيين ويتصل بهذا ما تسعى اليه الاشتراكية من الاصلاح الاجتماعي بتأمين العامل على عمله وصحته ورفع مستوى اجره ومعيشته وتقليل ساعات عمله ومنحه حق المساومة الإجماعيّة والاتفاق الإجماعي مع اصحاب العمل